@ 528 @ يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) ^ . فاستجاب ا له ، فأغرقهم ، ولم يبق منهم أحدا ، ونجى ا نوحا وأهله ، ومن معه من المؤمنين ، في الفلك المشحون ، وجعل ذريته هم الباقين ، ونصرهم ا على قومه المستهزئين . ^ (وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين * وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون * ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين * ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين) ^ أي : واذكر هذين النبيين الكريمين (سليمان) و (داود) مثنيا مبجلا ، إذ آتاهما ا العلم الواسع ، والحكم بين العباد ، بدليل قوله : ^ (إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم) ^ أي : إذ تحاكم إليهما صاحب حرث ، نفشت فيه غنم القوم الأخرى ، أي : رعت ليلا ، فأكلت ما في أشجاره ، ورعت زرعه ، فقضى فيه داود عليه السلام ، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث ، نظرا إلى تفريط أصحابها ، فعاقبهم بهذه العقوبة . وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب ، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدرها وصوفها ويقومون على بستان صاحب الحرث ، حتى يعود إلى حاله الأولى ، فإذا عاد إلى حاله ، ترادا ، ورجع كل منهما بماله ، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام ولهذا قال : ^ (ففهمناها سليمان) ^ أي : فهمناه هذه القضية ، ولا يدل ذلك ، أن داود لم يفهمه ا في غيرها ، ولهذا خصها بالذكر بدليل قوله : ^ (وكلا) ^ من داود وسليمان ^ (آتينا حكما وعلما) ^ ، وهذا دليل على أن الحاكم قد يصيب الحق والصواب وقد يخطىء ذلك ، وليس بملوم إذا أخطأ ، مع بذل اجتهاده . ثم ذكر ما خص به كلا منهما فقال : ^ (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) ^ ، وذكر أنه كان من أعبد الناس وأكثرهم ذكرا وتسبيحا ، وتمجيدا ، وكان قد أعطاه ا ، من حسن الصوت ورقته ورخامته ، ما لم يؤته أحدا من الخلق ، فكان إذا سبح وأثنى على ا ، جاوبته الصم والطيور البهم ، وهذا فضل ا عليه وإحسانه ولهذا قال : ^ (وكنا فاعلين) ^ . ^ (وعلمناه صنعة لبوس لكم) ^ أي : علم ا داود عليه السلام ، صنعة الدروع ، فهو أول من صنعها وعلمها وسرت صناعته إلى من بعده ، فألان ا له الحديد ، وعلمه كيف يسردها والفائدة فيها كبيرة . ^ (لتحصنكم من بأسكم) ^ أي : هي وقاية لكم ، وحفظ عند الحرب ، واشتداد البأس . ^ (فهل أنتم شاكرون) ^ نعمة ا عليكم ، حيث أجراها على يد عبده داود كما قال تعالى : ^ (وجعل لكم سرابيل

تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) ^ . يحتمل أن تعليم ا لداود صنعة الدروع ، وإلانتها أمر خارق للعادة ، وأن يكون كما قاله المفسرون : إن ا ألان له الحديد ، حتى كان يعمله كالعجين والطين ، من دون إذابة له على النار . ويحتمل أن تعليم ا له ، على جاري العادة ، وأن إلانة الحديد له ، بما علمه ا من الأسباب المعروفة الآن ، لإذابتها ، وهذا هو الظاهر ، لأن ا امتن على العباد وأمرهم بشكرها ، ولولا أن صنعته من الأمور التي جعلها ا مقدورة للعباد ، لم يمتن عليهم بذلك ، ويذكر فائدتها ، لأن الدروع التي صنع داود عليه السلام ، متعذر أن يكون المراد أعينها ، وإنما المنة بالجنس ، والاحتمال الذي ذكره المفسرون ، لا دليل عليه إلا قوله : ^ (وألنا له الحديد) ^ ، وليس فيه أن الإلانة من دون سبب ، وا أعلم بذلك . ^ (ولسليمان الريح) ^ أي : سخرناها ^ (عاصفة) ^ أي : سريعة في مرورها . ^ (تجري بأمره) ^ حيث أديرت امتثلت أمره ، غدوها شهر ورواحها شهر ^ (إلى الأرض التي باركنا فيها) ^ وهي أرض الشام ، حيث كان مقره . فيذهب على الريح شرقا وغربا ، ويكون مأواها ورجوعها ، إلى الأرض المباركة . ^ (وكنا بكل شيء عالمين) ^ قد أحاط علمنا بجميع الأشياء ، وعلمنا داود وسليمان ، ما أوصلناهما به إلى ما ذكرنا . ^ (ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك) ^ هذا أيضا من خصائص سليمان عليه السلام ، أن ا سخر له الشياطين والعفاريت ، وسلطه على تسخيرهم في الأعمال ، التي لا يقدر على كثير منها غيرهم ، فكان منهم ، من يغوص له في البحر ، ويستخرج الدار ، واللؤلؤ ، وغير ذلك . ومنهم من يعمل له ^ (محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) ^ ، وسخر طائفة منهم ، لبناء بيت المقدس ، ومات ، وهم على عمله ، وبقوا بعده سنة ، حتى علموا موته ، كما سيأتي ، إن شاء ا تعالى . ^ (وكنا لهم حافظين) ^ أي : لا يقدرون على الامتناع عنه وعصيانه ، بل حفظهم ا له ، بقوته وعزته ، وسلطانه . ^ (وأيوب إذ نادى